

مختصر ابن كثير

7 - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

قوله تعالى { صراط الذين أنعمت عليهم } مفسر للصراف المستقيم والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء : { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا } وعن ابن عباس : صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين وذلك نظير الآية السابقة وقال الربيع بن أنس : هم النبيون وقال ابن جريج ومجاهد : هم المؤمنون والتفسير المتقدم عن ابن عباس أعم وأشمل .

وقوله تعالى { غير المغضوب عليهم ولا الضالين } بالجر على النعب والمعنى : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين علموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق وأكد الكلام ب (لا) ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما : طريقة اليهود وطريقة النصارى فجيء ب (لا) لتأكيد النفي وللفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنعمة والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم : { من لعنه الله وغضب عليه } وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم : { قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وأضلوا عن سواء السبيل } وبهذا وردت الأحاديث والآثار فقد روي عن عدي بن حاتم أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : { غير المغضوب عليهم } قال : هم اليهود { ولا الضالين } قال : النصارى (رواه أحمد والترمذي من طرق وله ألفاظ كثيرة) ويستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها : (آمين) ومعناه : اللهم استجب لما روي عن أبي هريرة أنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا { غير المغضوب عليهم ولا الضالين } قال : آمين حتى يسمع من يليه من الصف الأول " (رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه (فيرتج بها المسجد) .

(فصل فيما اشتملت هذه السورة الكريمة - وهي سبع آيات - على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العلية وعلى ذكر المعاد وهو (يوم الدين) وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرء من حولهم وقوتهم إلى إخلص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل وإلى

سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو (الدين القويم) وتثبيتهم عليه حتى يقضي لهم بذلك إلى جواز الصراط يوم القيامة المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون . وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله : { أنعمت عليهم } وحذف الفاعل في الغضب في قوله : { غير المغضوب عليهم } وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى : { من يضل الله فلا هادي له } إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال . لا كما تقول القدرية من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلون ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي .

وقد ورد في الحديث الصحيح : " إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم " فليس - بحمد الله - لمبتدع في القرآن حجة صحيحة لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لأنه من عند الله : { تنزيل من حكيم حميد }